٥

قصص في التّعاون

خالد عبد الحميد الناقر
محمد محمود القاضي

سلسلة قصص الأخلاق

٥

قصص في التَّعاون

إعداد
خالد عبد الحميد الناقر
محمد محمود القاضي

حُزْمَةُ الْحَطَبِ

أَحَسَّ شَيخٌ كَبيرٌ بِقُرْبِ أجَلِه، فَجمَعَ أولادَهُ الثَّلاثَةَ؛ لِيوصِيهِمْ بِوصِيَّةٍ تَنْفَعهُمْ فِي حَياتِهِمْ، فَأعْطَاهُمْ حِزْمَةً كَبيرَةً مِنْ الحَطَبِ، وطَلَبَ مِنْ كُلٍّ مِنْهم أنْ يَكْسِرَهَا بِمُفْرَدِهِ، فَحَاوَلَ كُلُّ واحِدٍ أنْ يَكسِرَهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يسْتطِعْ لِشِدَّةِ قُوَّتِهَا وصَلابَتِهَا.

أخَذَ الأبُ الحُزْمَةَ، وفَكَّهَا إلَى أعْوادٍ، وأعْطَى كُلَّ واحِدٍ مِنْهُم عُودًا، فَكَسَرَهُ بِسُهُولَةٍ.

فَقَالَ الأبُ لأبْنَائه: إنَّكُمْ يا أبْنَائي مِثل هَذه الحزمَة.. إذَا اتَّحَدْتُمْ وكُنْتُمْ يدًا واحِدَةً فَلَنْ يسْتَطيعَ أحَدٌ مَهْمَا بَلَغَتْ قوَّتُهُ أنْ يغْلِبَكُمْ، وإنْ تَفَرَّقْتُم فَسَوفَ يُصِيبكُمُ الضَّعْفُ، ويَتمكَّنْ عَدُوُّكُمْ منْكُمْ، فَعَلَيكُمْ يا أولادِي بِالتَّعَاوُنِ فِي قَضاءِ أمُورِكُمْ فإنَّ فِي التَّعَاونِ قُوَّةً.

الوَزِيرُ النَّبِيُّ

اخْتَارَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ مُوسَى ـ عليهِ السَّلامُ ـ نَبِيًّا، وأمَرَهُ أنْ يدْعُو فِرْعَون مِصْرَ إلَى عِبَادَةِ اللَّهِ.

أدْرَكَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّ اللَّهَ قَدْ أمَرَهُ بِأمْرٍ عَظِيمٍ، فَرَفَعَ يدَيهِ إلَى رَبِّهِ، وقَالَ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ

أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٥].

وهكَذَا طَلَبَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رَبِّهِ أنْ يجْعَلَ هَارُونَ نَبِيًّا لِيعَاوِنَهُ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، ولِيكُونَ عَوناً لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ.

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ، وجَعَلَ هَارُونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَبِيًّا، فَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا خَيرَ عَونٍ للآخرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وتَعَاونَا فِي دَعوةِ فِرْعَونَ وقَومِهِ لِعبَادَةِ اللَّهِ.

جَمْعُ الْحَطَبِ

كَانَ النَّبِي ﷺ فِي سَفَرٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أصْحَابِهِ، فَأرَادُوا أنْ يذْبَحُوا شَاةً لِيأكُلُوهَا، فَاتَّفَقُوا عَلَى أنْ يتَعَاوَنُوا فِيمَا بَينَهُمْ فِي إعْدَادِ تِلْكَ الشَّاةِ، وأنْ يكُونَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ دَوْرٌ فِي إعِدَادِهَا.

فَقَالَ أحَدُ الصَّحَابَةِ: عَلَيَّ ذَبْحُ الشَّاةِ.

وقَالَ آخَرُ: وأنَا عَليَّ سَلْخُهَا.

وقَالَ ثَالِثٌ: وأنا عَليَّ طَبْخُهَا.

فَأحَبَّ النَّبِيُّ ﷺ أنْ يشَارِكَهُمْ العَمَلَ، فَقَالَ: «وأنَا عَلَيّ جَمْعُ الحَطَبِ». فَقَالَ الصَّحَابَةُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ نَكْفِيكَ ذَلِكَ.

فَقَالَ ﷺ: «أنَا أعْلَمُ أنَّكُمْ تَكْفُونِي، لَكِنِّي لا أُحِبُّ أنْ أتَمَيَّزَ عَلَيكُمْ؛ فإنَّ اللَّهَ ـ تَعَالَى ـ لا يحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ أنْ يتَمَيَّزَ عَلَى أصْحَابِهِ».

التَّعَاوُنُ ثَمَنُ الْحُرِّيَةِ

كَانَ سَلْمَانُ الفَارِسِي ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ عَبْدًا مَمْلُوكاً، فَطَلَبَ مِنْهُ سَيدَهُ أنْ يزْرَعَ لَهُ ثَلاثَمِئَةِ نَخْلَةٍ، وأنْ يُحْضِرَ إليهِ أرْبَعِينَ أُوقِيةً مِنْ ذَهَبٍ؛ لِكَي يعْتِقَهُ ويحَرِّرَهُ.

فَذَهَبَ سَلْمَانُ إلَى النَّبِي ﷺ وأخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ لأصْحَابِهِ: «أعِينُوا أخَاكُمْ».

فَجَمَعَ الصَّحَابَةُ ـ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيهِمْ ـ لَهُ ثَلاثَمِئَةِ فَسِيلَةٍ (نَخْلَة صَغِيرَة)، فَقَالَ ﷺ لِسَلْمَانَ: «اذْهَبْ فَفَقِّرْ لَهَا (أي: اصْنَعْ حُفَرًا لِتَغْرِسَ فِيهَا الفَسَائِلَ)، فَإذَا فَرَغْتَ مِنْهَا فَأتِنِي أكُنْ أنَا أضَعُهَا بِيدِي».

وسَاعَدَهُ الصَّحَابَةُ فِي الْحَفْرِ، فَلَمَّا انْتَهوا ذَهَبَ إلَى النَّبِي ﷺ وأبْلَغَهُ، فَخَرَجَ ﷺ مَعَهُ حَتَّى وصَلَ إلَى مكَانِ زَرْعِ النَّخْلِ، وأخَذَ يغْرِسُ الفَسَائِلَ بِيدِهِ الشَّرِيفَةِ. قَالَ سَلْمَانُ: فَوالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا واحِدَة.

وأعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قِطْعَةً مِنَ الذَّهَبِ، فَوزَنَهَا سَلْمَانُ فَكَانَتْ أرْبَعِينَ أُوقِيةً، فَقَدَّمَهَا إلَى سَيِّدِهِ؛ فَأعْتَقَهُ.

* * * * *

حَفْرُ الخَنْدَقِ

عَلِمَ الرَّسُولُ ﷺ بِقُدُومِ جَيشٍ كَبِيرٍ مِنْ قُرَيشٍ وحُلَفَائِهَا لِغَزْوِ الْمَدِينَةِ، فَجَمَعَ صَحَابَتَه واستَشَارَهُمْ فِي هَذا الأمْرِ، فَأشَارَ عَلَيهِ سَلْمَانُ الفَارِسِيّ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ بِحَفْرِ خَنْدقٍ حَولَ الْمَدِينَةِ لِحِمَايَتِهَا مِنَ جَيشِ قُرَيشٍ، فَوافَقَ الرَّسُولُ ﷺ وأمَرَ صَحَابَتَهُ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ.

فَتَعَاونَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ لا يبَالُونَ بِجُوعٍ أو تَعَبٍ، وشَارَكَ الرَّسُولُ ﷺ صَحَابَتَهُ فِي الْعَمَلِ، فَكَانَ يحْمِلُ التُّرَابَ عَلَى كَتِفِهِ. وكَانَ الْمُسْلِمُونَ يقُولُونَ أثْنَاءَ الْعَمَلِ:

واللَّهِ لَوْلا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا	وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّينَا
فَأنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلينَا	وثَبِّتِ الأقْدَامَ إنْ لاقَيْنَا
إنَّ الأُولَى قَدْ بَغُوا عَلَينَا	إذَا أرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وانْتَهَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ حَفْرِ الْخَنْدَقِ فِي أيامٍ قَلِيلَةٍ بِفَضْلِ تَعَاوُنِهِمْ جَمِيعاً، وحَفِظَ اللَّهُ الْمَدِينَةَ مِنْ جَيشِ الْمُشْرِكِينَ.

* * * * *

إِعَانَةُ الزَّوْجِ

تَزَوَّجَ الزُّبَيرُ بْنُ العَوَّامِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ السَّيِّدَةَ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا، ولَمْ يكُنِ الزُّبَيرُ يَمْلِكُ مَالاً ولا عَبِيدًا، وكَانَ عِنْدَهُ فَرَسٌ.

وكَانَتْ أَسْمَاءُ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْها ـ خَيرَ عَونٍ لِزَوجِهَا عَلَى تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ الحياةِ، فَكَانَتْ تَخْدِمُهُ وتَقُومُ عَلَى رِعَايَتِه ورِعَايَةِ فَرَسِه، وتَقُومُ بِأَعْبَاءِ الْبَيتِ مِنْ طَحْنٍ وعَجْنٍ وخَبْزٍ، فَكَانَتْ نِعْمَ الزَّوجَةُ.

وظَلَّتْ أَسْمَاءُ تَتَحَمَّلُ كُلَّ هَذِه الأَعْبَاءِ، وتُعَاوِنُ زَوْجَهَا، حَتَّى كَثُرَ عِنْدَهَا الخَيرُ، وصَارَ لَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ أَلفِ خَادمٍ ومَمْلُوكٍ، ورَزَقَهُمَا اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ.

تَعَاوُنُ الْمَلائِكَةِ

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، حِينَمَا الْتَقَى جَيشُ الْمُسْلِمِينَ بِجَيشِ الكُفَّارِ أَنْزَلَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ الْمَلائكَةَ؛ لِكَي تُعَاون الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.

وأَثْنَاء الْمَعْرَكَةِ، جَرَى رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَاءَ أَحَدِ الْمُشْرِكِينَ؛ يريدُ أَنْ يقْتُلَهُ، فَإِذَا بِهِ يسْمَعُ صَوتَ ضَرْبَةٍ بِالسَّوطِ، ويسْمَعُ صَوتاً يقُول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ «اسْمُ فَرَسِ الْمَلَكِ».

ثُمَّ وَقَعَ الْمُشْرِكُ عَلَى الأَرْضِ، وعَلَى أَنْفِهِ أَثَرُ ضَرْبَةٍ بِالسَّوطِ.
فَذَهَبَ الأَنْصَارِيّ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ».

بِنَاءُ المَسْجِدِ

عِنْدَمَا دَخَلَ النَّبِيّ ﷺ المَدِينَةَ، تَجَمَّعَ النَّاسُ حَوْلَهُ، وتَسَابَقُوا إِلَيهِ.. كُلٌّ يرِيدُ أَنْ يُمْسِكَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ؛ لِينْزِلَ الرَّسُولُ ﷺ ضَيْفًا عَلَيهِ فِي بَيتِهِ، فَكَانَ ﷺ يقُولُ لَهُمْ: «دَعُوهَا فإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ».
وسَارَتِ النَّاقَةُ فِي الْمَدِينَةِ حَتَّى وصَلَتْ إِلَى مكَانٍ يمْلكُهُ غُلامَانِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَبَرَكَتِ النَّاقَةُ فيهِ، فَسَأَلَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ أَصْحَابِ الْمكَانِ فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ عفْرَاءَ: هُوَ يا رَسُولَ اللَّهِ لِسَهْلٍ وسُهَيلٍ ابْنَي عَمْرٍو، وهُمَا يتِيمَانِ لِي وسَأُرْضِيهِمَا.
فَأَمَرَ ﷺ بِبِنَاءِ مَسْجِدِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ، فَتَجَمَّعَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ لِيشَارِكُوا فِي هَذَا الْعَمَلِ العَظِيمِ، واشْتَرَكَ مَعَهُمْ ﷺ فِي الْبِنَاءِ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يغَنُّونَ:

لَئِنْ قَعَدْنَا والرَّسُولُ يعْمَلُ   لَذَاكَ مِنَّا العَمَلُ الْمُضَلَّلُ

وَهكَذَا تَعَاوَنَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا فِي بِنَاءِ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ.

*****

تَعَاوُنٌ عَلَى الْخَيرِ

كَانَ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلامِ، وكَانَ أَبُوهُ مُشْرِكاً، فَفَكَّرَ مُعَاذُ فِي حِيْلَةٍ يُقْنِعُ بِهَا أَبَاهُ حَتَّى يدْخُلَ فِي الإِسْلامِ، فَأَخْبَرَ صَدِيقَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ بِالأَمْرِ؛ لِيعَاوِنَهُ فيه، فوافَقَ مُعَاذٌ عَلَى مُعَاونَةِ صَدِيقِه، فَكَانَا يأخُذَانِ الصَّنَمَ الَّذِي يعْبُدُهُ عَمْرُو ويرْمُونَهُ فِي الْحُفْرَةِ الَّتِي تُلْقَى فِيهَا القَاذُورَاتُ، فَكَانَ عَمْرٌو يبْحَثُ عَنْ صَنَمِهِ فِي الصَّبَاحِ حَتَّى يجِدَهُ فَيأْخُذَهُ ويغْسِلَهُ.

وكَرَّرَ الصَّدِيقَانِ هَذَا الأَمْرَ مَرَّاتٍ، فَجَاءَ عَمْرٌو ذَاتَ لَيلَةٍ، وعَلَّقَ فِي رَقَبَةِ الصَّنَمِ سَيفًا؛ لِيدَافِعَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَجَاءَ مُعَاذٌ وصَدِيقُهُ فِي الليلِ، وألْقَيَا الصَّنَمَ فِي القَاذُورَاتِ بَعْد أنْ رَبَطَا مَعَهُ كَلْبًا مَيْتاً.

فَلَمَّا لَمْ يجِدْ عَمْرٌو صَنَمَهُ فِي الصَّبَاحِ بَحَثَ عَنْهُ، فَوَجَدَهُ فِي البِئْرِ مَعَ كَلْبٍ مَيْتٍ وفِي رَقَبَتِه السَّيفُ، فَاقْتَنَعَ عَمْرٌو بِأَنَّ هَذا الصَّنَمَ لا ينْفَعُ ولا يضُرُّ، ولا يسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ. فَأَسْلَمَ وحَسُنَ إِسْلامُهُ.. وكَانَ تَعَاوُنُ الصَّدِيقَينِ سَبَباً فِي إِسْلامِهِ.

* * * * *

تَعَاوُنٌ وَزَوَاجٌ

تَزَوَّجَ رَبِيعَةُ الأَسْلَمِيُّ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، ولَمْ يكُنْ عِنْدَهُ مَا يُعْطِيهِ مَهْرًا لَهَا.

فَذَهَبَ رَبِيعَةُ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وأخْبَرَهُ، فأمَرَ الرَّسُولُ ﷺ صَحَابَتَهُ أنْ يجْمَعُوا وَزْنَ نَوَاةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَجَمَعَ لَهُ الصَّحَابَةُ وَزْنَ نَواةٍ مِنَ ذَهَبٍ، فَأخَذَهَا رَبِيعَةُ وقَدَّمَهَا صَدَاقاً إِلَى زَوْجَتِهِ.

ثُمَّ عَادَ رَبِيعَة مَرَّةً ثَانِيةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأخْبَرَهُ أَنَّهُ لا يمْلِكُ شَيْئًا يصْنَعُ مِنْهُ ولِيمَةً فِي عُرْسِهِ، فَأَعْطَاهُ أَحَدُ الصَّحَابَةِ كَبْشاً سَمِيناً، وأَمَرَهُ ﷺ أنْ يذْهَبَ إِلَى السَّيدَةِ عَائِشَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْها ـ فيأخُذَ مِنْ عَنْدِهَا بَعْضَ الشَّعِيرِ.

وهكَذَا عَاونَ الْمُسْلِمُونَ أخَاهُمْ مِنْ أجْلِ إتْمَامِ زَوَاجِهِ، وإدْخَالِ الفَرْحَةِ والسُّرُورِ عَلَى قَلْبِهِ.

* * * * *

المَعْصِيةُ

ذَاتَ يومٍ، أرْسَلَ أميرُ اليمَنِ يعْلَى بْنُ أميَّةَ ــ رَضِـي اللَّـهُ عَنْه ـ إلَى أميرِ الْمُؤمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ ـ رَضِي اللَّـهُ عَنْـه ـ يستَشِيرُهُ فِي أمْرِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّاسِ تَعاونُوا علَى قتْلِ غُلامٍ.

فأرْسَلَ إلَيهِ عُمَرُ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ يـأمُرُهُ بِقَـتْلِهِمْ جَمِيعًـا، وقَالَ: واللَّهِ لَوْ أنَّ أهْلَ صَنْعَاءَ اشْتَركُوا فِي قَتْلِه لَقَتَلْتُهُمْ أجْمَعِينَ.

وهكَذَا يكُونُ مَنْ أعَانَ غَيرَهُ فِي مَعْصِيةٍ كَمَنْ فَعلَهَا، قَـالَ ﷺ: «مَنْ أعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤمِنٍ ولَوْ بِشَـطْرِ (نصْـفِ) كَلِمَـةٍ، لَقِيَ اللَّهَ مكْتُوبٌ بينَ عَينَيهِ :آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ».

ولَقَدْ نَهَانَا اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَنِ التَّعَاوُنِ فِي الإثْم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

* * * * *

تَعَاوُنٌ وطَاعَةٌ

كَانَ أَبُو هُرَيرَةَ ـ رَضِـي اللَّـهُ عَنْـه ـ يتَعَـاوَنُ مَـعَ زَوجَتِـه وخَادمه عَلَى طَاعَةِ اللَّه ، فَقَسَّـمَ اللَّيـلَ ثَلاثَـةَ أقْسَـامٍ ؛ فَكَـانَ يصَـلِّي ويعبُدُ اللَّـهَ حَتَّـى يمْضِـي الثُّلُـثُ الأوَّلُ ، ثُـمَّ يـوقِظُ زَوْجَتَهُ لِتُصَلِّي وتَعبُدَ اللَّهَ فِي الثُّلُثِ الثَّـانِي ، وبَعْـدَ أن تَنْتَهِـي هِي مِنْ قِيـامِ لَيلِهَـا وصَـلاتِهَا تَـذْهَب إلَـى الخَـادِمِ ؛ فَتُوقِظـهُ لِيصَلِّي الثُّلُثَ الأخِيرَ .

وكَانَ هَذَا الأمْرُ هُوَ شَأنُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّـالِحِينَ ، فَقَـدْ كَـانَ زَيدُ بْنُ الحَارِثِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ يقَسِّمُ الليلَ فِي الْعِبَادَةِ بَينَهُ وبَينَ ولَدَيه ، فَإذَا رَأى كَسَلاً مِنْ أحَدِهِمَا قَامَ بَدَلاً مِنه ؛ ابتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَنْهُ وعَنْ وَلَدَيْه .

فَكَانَتْ أسْرَةَ طَيبَةً صَالِحَةً ، مُتَعَاونَةً فِيمَا بينهَا عَلَى عِبَـادَةِ اللَّهِ وطَاعَتِه .

* * * * *

السَّدُّ العَظِيمُ

كَانَ لِيأجُوجَ ومَأجُوجَ أشْكَالٌ مُخِيفَةٌ، ومِنْ عَادَتِهِمْ أنَّهُـمْ يفْسِدُونَ فِي الأرْضِ ولا يصْلِحُونَ، وكَانَ فِـي زَمَـانِهِمْ مَلِـكٌ يسَـمَّى ذَا القَـرْنَينِ، آتَـاهُ اللَّـهُ مُلْكـاً عَظِيمـاً، ومَنَحَـهُ القُـوَّةَ والسُّلْطَانَ.

وفِي يومٍ مِنَ الأيَّامِ، وَصَلَ ذُو القَرْنَينِ بِجَيْشِهِ إلَى الْمَكَانِ الَّذِي يعِيشُ فِيهِ هَؤلاء القَوْمُ.

وكان يسْكُنُ فِي الْمَكَانِ نَفْسِهِ قَومٌ ضِعَافٌ، فَلَمَّـا رَأوْا ذَا القَرْنَينِ اسْتَنْجَدُوا بِهِ حَتَّـى يحْمِـيهُمْ مِـنْ يـأجُوجَ ومَـأجُوجَ، واقتَرَحُوا عَلَيهِ أنْ يصْنَعَ لَهُمْ سَدّاً يمْنَعُ عَنْهُمْ شَرَّهُم.

فَوافَـقَ ذُو القَـرْنَينِ عَلَـى بِنَـاء السَّـدِّ، وطَلَـبَ مِـنْهُمْ أنْ يعَـاونُوهُ ويسَـاعِدُوهُ، حَتَّـى يـتَمكَّنَ مِـنْ إنْجَـازِ هَـذَا الْعَمَـلِ الضَّخْمِ، وتَعَاونَ القومُ فِي صُنْعِ هَذَا السَّدِّ، وكَانَ سَـدّاً قَوِيّـاً مِنْ سَبِيكَةِ الحَدِيدِ والنُّحَاسِ، وعَاشَ الْقَومُ بَعْـدَهَا فِـي أمَـانٍ وسَلامٍ.

* * * * *

تَعَاوُنُ الأبِ والأمِّ

أمَرَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ نَبيَّهُ إبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْـه السَّـلامُ ـ أنْ يبْنِـي الكَعْبَةَ؛ لِيحُجَّ إليهَا النَّاسُ ويَزُورُوهَا مِنْ كُلِّ مكَانٍ وفِي كُلِّ زَمَانٍ.

فَأخْبَرَ إبْرَاهِيمُ ـ عَلَيْهِ السَّـلامُ ـ ولَـدَهُ إسْـمَاعِيلَ ـ عَلَيْـه السَّلامُ ـ بِذَلِك، فَوافَقَ عَلَى الفَورِ، وتَعَاونَ مَعَ أبِيهِ فِـي هَـذَا الْعَمَلِ العَظِيمِ، فَذَهَبَ إلَى الْمكَانِ الْمُخَصَّصِ لِبِنَـاء الْبَيْـتِ، وكَانَ يجْمَعُ الحِجَارَةَ، وكَانَ أبُوهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يقُومُ بِعَمَلِيةِ الْبِنَاءِ، حَتَّى ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ.

وكَانَ إبْرَاهِيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَولَـده يَـدْعُوانِ رَبَّهُمَـا أنْ يتَقَبَّلَ مِنْهُمَا هَذَا العَمَلَ الصَّالِحَ بِقَولِهِمَـا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

فَتَقَبَّلَ اللَّهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ دُعَاءَهُمَا، وأصْـبَحَ هَـذَا الْمكَـانُ الْمُقَدَّسُ يأتِيهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مكَانٍ لِلْعِبَـادَةِ والطَّـوَافِ، وهُـوَ نِعْمَ الرَّمْزُ والمِثَالُ لِتَعَاوُنِ الابْنِ مَعَ الأبِ.

* * * * *

الزَّوْجَانِ

تَزَوَّجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالب ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ السَّيدَةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء بِنْتَ رَسُولِ اللَّه ﷺ، ولَمْ يكُنْ فِي بَيتِهِ خَادِمٌ ولا مُسَاعِدٌ إلا وَالِدَتُهُ السَّيِدَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْها ـ .

وكَانَ عَلِيٌّ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ فَقِيراً، لا يسْتَطِيعُ أنْ يشْتَرِي خَادماً.

فَكَانَتِ الأُسْرَةُ كُلُّهَا تَتعَاونُ فِي أعمالِ الْبَيتِ. وقَسَّمَ عَلِيٌّ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ عَمَلَ الْبَيتِ بَينَ زَوجَتِه وأُمِّه، فَقَالَ لأُمِّه: اكْفِ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِقَايَةَ الْمَاءِ وشِرَاءَ الحَاجَاتِ، وتَكْفِيكِ هِي العَمَلَ فِي الْبَيتِ.

وكَانَتِ السَّيِدَةُ فَاطِمَةُ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْها ـ خَيرَ عَونٍ لِزَوجِهَا عَلَى تَحَمُّلِ واجِبَاتِ الحياةِ، فَكَانَتْ تَطْحَنُ وتَعْجِنُ وتَخْبِزُ وتُنَظِّفُ الْبَيتَ بِنَفْسِهَا.

وكَانَ عَلِيٌّ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ يعْمَلُ ويكْدَحُ خَارِجَ الْبَيتِ.

* * * * *

قِصَصٌ فِي التَّعَاوُنِ

التَّعَاونُ خُلُقٌ عَظِيمٌ، يغْرِسُ الحُبَّ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، ويحَقِّقُ للأمَمِ القوةَ والخَيرَ والعِزَّةَ.

وقَدْ أرْشَدَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَه ـ عِبادَهُ إلَى الالْتِزَامِ بِالتَّعَاونِ فِي الْخَيرِ، كَمَا حَذَّرَهُمْ مِنَ التَّعَاوُنِ فِي الإثْمِ، ومِنَ الفُرْقَةِ والاخْتِلافِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وكَانَ ﷺ يعَاونُ صَحَابَتَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَواقِفِ، فَقَدْ شَارَكَ صَحَابَتَهُ فِي بِنَاءِ المَسْجِدِ، وحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وغَيرِ ذَلِكَ. وكَذَلِكَ كَانَ الصَّحَابَةُ يتَعَاونُونَ فِيمَا بَينَهُمْ فِي فِعْلِ الْخَيرِ، والْعِبَادَةِ، وكَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ الْحَياةِ؛ لِذَلِكَ كَانُوا كَالْبُنْيانِ الْمَرْصُوصِ؛ قَالَ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ يدٌ واحِدَةٌ».

وهَذِهِ القِصَصُ الَّتِي قَرَأنَاهَا تَتَحَدَّثُ عَنِ التَّعَاوُنِ، فَلْنَتَعَلَّمْ مِنْهَا، ولْنَأخُذ مَا فِيهَا مِنْ عِبْرَةٍ وعِظَةٍ.

* * * * *

سلسلة قصص في الأخلاق

١ - قصص في الأخلاص
٢ - قصص في الأمــانة
٣ - قصص في الإيثــار
٤ - قصص في البِـــر
٥ - قصص في التّعاون
٦ - قصص في التّواضع
٧ - قصص في التّوكل
٨ - قصص في الحبّ
٩ - قصص في الحِـلم
١٠- قصص في الحيـاء
١١- قصص في الرحمة
١٢- قصص في الشجاعة
١٣- قصص في الشُّكر
١٤- قصص في الشُّورى
١٥- قصص في الصَّبر
١٦- قصص في الصِّدق
١٧- قصص في الطّاعة
١٨- قصص في العــدل
١٩- قصص في العفــو
٢٠- قصص في الكــرم
٢١- قصص في الوفــاء

٨١٠٠٥٦